قصة قصيرة

دمعة أمل

سهام يوسف

دخلت القاعة الزجاجية التابعة لوزارة السياحة حيث يعرض مجموعة رسامين من مدارس فنية مختلفة، وتنقلت بين اللوحات وتباين وقوفها أمام كل لوحة تبعا لوضوحها وتناسق ألوانها.. فعلاقتها بالأدب كعلاقتها بالفنون الأخرى يقربها منها يجذبها إليها ما كان واضحا معبرا من غير عقد ورموز، فقد لف واقعنا ما يكفي من الغموض لجعل كل منا بحاجة إلى مصباح ديوجين للبحث عن الحقيقة.

وجذبتها لوحة رمادية يتصدرها قلب أبيض ارتسمت عليه ملامح وجه باسم تتساقط من عينيه قطرات دمع حمراء.. وقفت تتأمل القلب الدامع الدامي.. وطال وقوفها.. إنه قلبها الذي بكى كثيرا وكانت ابتسامتها تموه دائما تلك الدموع..

وبرفقة دمعة مبتسمة عادت إلى آخر محطة.. إلى حيث التقته....

في حفل زفاف.. كان مستغرقا في حديث ضاحك مع إحداهن.. إنها تعرف الفتاة.. صيادة لكل أنواع الطرائد.. ولكن هو.. هو من يكون؟؟ ذو جاذبية خاصة.. وشخصية مميزة من ذلك النوع الذي يشدك إليه دون أن تدري لماذا..

وقفت تحادث مجموعة من الاصدقاء وتسترق النظر إليه.. لم تحاول يومها أن تسأل من يكون..

ومر عام وربما أكثر كانت في اثنائه المعارك تحتدم وتخف وطأتها.. فتفتح الطرقات وتغلق تبعا لرغبات القناصة ومزاج «العناصر غير المنضبطة».

وكان اللقاء الثاني... في عيادة طبيب عيون..

جلست تنتظر وصول الطبيب وتقلب صفحات مجلة اشترتها وهي في طريقها إلى العيادة. وشعرت أن هناك من ينظر إليها، فرفعت بصرها لتجده جالسا في المقعد المقابل.. إنه هو.. النظرة إياها.. نظرة مركزة في غير وقاحة.. وعادت إلى مجلتها لتخفي ارتباكها، ولكن ماذا تفعل بوجهها الذي خذلها؟ نظرت إلى ساعتها.. فتحت حقيبتها واغلقتها.. وعادت إلى مجلتها، ثم إلى الممرضة الجالسة وراء مكتبها منهمكة في حياكة خيوط مزركشة.... وأجالت بصرها في أرجاء الغرفة وأصابع يديها تتشابك في أوضاع مختلفة.. على أحد المقاعد أم وطفلها يتحادثان.. وعلى الجدران شهادات طبية.. صورة تذكارية للطبيب وزملائه يوم تخرجهم.. ومجموعة أقوال وحكم..

وعاد نظرها إلى المقعد المقابل.. لا زال هناك ينفث دخان سيكارته وشبح ابتسامة منتصرة يلوح من وراء السحب المتصاعدة.. ونظرت من جديد إلى ساعتها.. وشعرت به يغادر مقعده باتجاه الممرضة.. سأل عن سبب تأخر الطبيب ثم عاد وجلس ولكن.. على المقعد المجاور لمقعدها..

وتسارعت دقات قلبها وخشيت أن يصله صوتها ..وفاجأها سؤاله:

- هل تعملين في مصرف (...) منذ فترة طويلة؟

وأجابته بعينين تتساءلان وصوت أفقدته المفاجأة نصف قوته:

- وكيف تعلم أني أعمل هناك؟

- إني صديق شخصي للمدير وأتردد بكثرة إلى المصرف لمتابعة أعمالي، والغريب أني لم أرك إلا يوم أمس. ربما كان السبب بابك المغلق دائما. أو.. سوء حظي..

ابتسمت بصمت.. والتجأت إلى صفحات مجلتها، فلم تر أمامها إلا مجموعة خطوط بيانية وجاء صوته من جديد:

- وأنت.. ألم تريني من قبل؟

أجابت بسرعة وصورته مع تلك الفتاة ماثلة أمامها:

- كلا طبعا.. أين يمكن أن أراك؟

- في المصرف..

- وأجابت صادقة هذه المرة: - لا لم يحدث..

فضحك وهو يقول:

- يبدو أن كلينا كان بحاجة لطبيب عيون منذ زمن..

وما كان باستطاعتها إلا أن تضحك.. وأنقذها صوت الممرضة داعيا إياها للدخول إلى غرفة الطبيب..

وصباح اليوم التالي وقف بباب غرفتها وتلك الابتسامة التي تنطلق من كل جزء من وجهه تحييها..

- كيف صحة الآنسة..

ولفظ أسمها الكامل.. وارتسمت المفاجأة على وجهها.. واتسعت عندما تابع ضاحكا وكأنه يتلذذ بصدمها بالمفاجآت المتلاحقة:

- وكيف حال المنطقة الشرقية؟

وابتعد تاركا اصداء ضحكة محببة.. وعلامات استفهام..

من هو؟ ومن اين له كل تلك المعلومات؟ ولم تر خلال ذلك اليوم غير صورته على صفحات أوراقها وفي وجوه الزملاء والمراجعين.. ولم تجرؤ على سؤال احد عمن يكون..

ومنذ ذلك اليوم أصبحت تختار ثيابها بدقة تفوق كثيراً الأناقة المعروفة عنها، وتطيل وقوفها امام المرآة.. فلقد كانت دائما تهتم بمظهرها إرضاء لذاتها، أما اليوم.. فالسبب مختلف، ولم تعد تغلق باب مكتبها كالمعتاد.. كم أصبحت تمقت ذلك الحاجز الخشبي الذي حجبه عنها كل تلك الفترة!

كانت تتحدث على التلفون وتدون بعض الملاحظات أمامها عندما سمعت:

- Good morning miss..

أعادت السماعة وهي تردد:

- Good morning...

حتى في التحية له أسلوبه..

ودخل الغرفة وأخباره تتتابع سلسة ممتعة.. وسأل عن أخبارها.. فقاطعته:

- ألا ترى أنه لا يجوز أن تعرف كل أخباري وانا لا أعرف حتى اسمك؟

وأجاب بغرور محبب:

- اعتقدتك تعرفينه، فالجميع هنا يعرفني.. على كل حال، أدعى (..)

إنه على حق. لقد سمعت الاسم ولكنها لم تكن تعلم انه صاحبه..

وتتابعت زيارات المكتب القصيرة والتي كانت تحمل في ظاهرها طابع العمل والمراجعات.. وذات مساء كانت جالسة في فراشها تقرأ كعادتها حين رن جرس الهاتف.. ورفعت السماعة وعيناها مركزتان على الاسطر أمامها.

- Good evening..

المفاجأة من جديد..

- Good evening....

- ولكن من أين حصلت على الرقم؟

- استمحيك عذرا.. وقبل أن أتابع - اذا أزعجتك سأنهي المكالمة وانسى الرقم.. ولن أستعمله اطلاقا.

- لا طبعا لم تزعجني ولكن هناك حقيقة اريدك ان تعرفها.. إني لست واحدة من- إياهن-

فأجاب ضاحكا:

- أعرف أنك صاحبة «الأنف العالي».. هكذا وصفك من حذرني من المغامرة.. ولكني من هواة تسلق الجبال العالية.

كانت أحاديثه تسعدها، ولكن صراعا في داخلها لم يتوقف يوما.. أتراه كان صادقاً أم أنه يحاول إثبات تحديه في الوصول إلى القمم؟

وكان قلبها دائما إلى جانبه، يدافع عنه.. صارحته ذات يوم بشعورها هذا.

- لست المرأة الاولى التي ألتقي بها في حياتي، فأنت قد سمعت ولا شك، بأني محاط بالكثيرات سواء في عملي أو مجتمعي..

- لهذا أرفض ان اكون رقما يضاف إلى مجموعتك..

- أنت لست رقما.. انت حالة فريدة.. مميزة، وقد أكدت لك ذلك مرارا..

- أخشى ان تكون بيّاع كلام..

وضحك..

- في هذه الحالة، أنت الزبون الوحيد..

- ما أدهاك! ..لقد أوكلت قلبي محاميا عنك يقارعني الحجة بالحجة.. يفحمني ويقهقه منتصرا..

- هنيئا لي بهذا المحامي البارع.. الصادق..

وتأزمت الأوضاع الأمنية وزرعت الاحياء قذائف عشوائية وامتدت الحواجز والأسلاك في كل مكان.. وصمت الهاتف...

لم تعد تسمع صوته، أوتعرف عنه شيئاً، فالوصول إلى مقر عملها بات مستحيلا.. كل شيء صار مملا.. القراءة.. الاحاديث.... حتى الموسيقى التي كانت تعشقها، أصبح وقعها

مزعجا.. والصامت الاكبر إلى جانب سريرها يزيد من وطأة كل شيء..

ولم يبق لديها سوى استعادة ما مضى.. كانت تسترجع في لحظة أية كلمة، أية ابتسامة.. أية لحظة صمت فاقت ببلاغتها كل الكتب والمؤلفات..

ورن الهاتف.. ومدت يدها - يسبقها قلبها - ترفع السماعة

- Good morning

- كم حاولت الاتصال بك طوال ايام القصف ولكن عبثا.. فالحواجز ارتفعت بكل الاشكال.. ولكن قلبي كان يعلو فوق الحواجز.. فوق الاسلاك... فوق الانفاق.. الم تشعري به بجانبك؟

هزت رأسها، فقد احتجزت دموعها كلماتها..

- كنت أخشى ان اسافر دون ان اودعك..

- تسافر؟؟ إلى اين؟

- إن بقائي هنا وفي وضع كهذا معناه القضاء على مستقبلي.. سأعود، ولكن.. متى؟ لست أدري.. إني مسافر هذا المساء وأمنيتي أن يكون وجهك آخر من أرى قبل أن اغادر ارض الوطن..

إنها امنيتها ايضا.. ولكنها أمنية تحول دون تحقيقها كل بوابات العبور ومن يقف عليها

فأجابته بألم:

- محاميك سيكون هناك..

وأغلقت السماعتان في آن واحد..

لقد طالت المؤامرة التي حيكت ضد هذا الوطن قلبها ببعض من خيوطها واعتصرته.. أما وجهها فما زال يبتسم رغم كل شيء..

وابتعدت نحو لوحة أخرى تشرق فيها شمس أمل ذهبية أمل عودة.. وأمل لقاء..

يفترقان في غمرة تلك الايام السعيدة لم يخطر ببالها يوما انهما قد

سهام يوسف

دار الآداب تقدم

الدكتور عبدالله عبدالدائم

في سبيل

ثقافة عربية ذاتية

الثقافة العربية والتراث

بناء الثقافة القومية الذاتية شعارٌ يحتلّ مقام الصدارة في الفكر العالمي والجهد الدولي اليوم. وهذا المطلب ليس مقصوداً لذاته فحسب - سعياً إلى تأكيد الهوية الخاصة لكل أمة، وتيسيراً للحوار الخصيب بين الثقافات - بل هو قبل هذا مطلب لازب من أجل تحقيق التنمية الإقتصادية والاجتماعية التي تسعى إليها كل أمة، فضلاً عن كون التنمية الثقافية في الوقت نفسه الهدف النهائي لأي تنمية.

ومثل هذا الهدف الكبير يستلزم توضيح العلاقة السليمة التي ينبغي أن تقوم بين هذه الثقافة العربية الذاتية الموعودة وبين التراث العربي الإسلامي؛ بحيث يغدو هذا التراث - بعد أن تتضح قيمه الأصيلة ومعالمه الإنسانية الكبرى. وبعد أن ننظر أليه بعين مجدّدة نفّاذة إلى معانيه الحقة، متجاوزةً ما أصابه من تشويه وتخلّف - مهاداً من القيم المتحركة الحيّة التي تؤدي إلى رؤية للثقافة طريفة وتليدة معاً.

وهذا الكتاب جهد أول في هذه الطريق المديدة. فبناء الثقافة العربية المرجوّة جهد لا تقوى عليه قدرة الفرد الواحد أو الأفراد المعدودين، بل لا بدّ له من اجتماع القدرات الكثيرة سعياً وراء بناء صرح ثقافي عربي جديد، أعمدتُه الكبرى التراث وقد جُدّد، والواقع العربي القائم وقد حُلّل ودُرس، والواقع العالمي وقد أُدرك، والمستقبل العربي وقد بانت مستلزماته وأشرقت أهدافه.